جامعة
المنصــورة
كليـــة الآداب
_

ظواهر لغوية فى القرآن الكريم
دراسة تطبيقية فى ألفاظ الأمكنة

إعــداد
دكتور / السيد إبراهيم جمعه سعد
دكتوراه فى اللغة العربية

مجـلة كلــية الآداب – جامعـــة المنصـــورة
العدد الرابع و الخمسون – يناير ٢٠١٤

ظواهر لغوية فى القرآن الكريم
دراسة تطبيقية فى ألفاظ الأمكنة

د. السيد إبراهيم جمعه سعد

البحث معني بدارسة الظواهر اللغوية التي تمثلها– من الناحية التطبيقية– بعض ألفاظ الأمكنة المختصة غير المشتقة في القرآن الكريم.

وهذه الظواهر اللغوية، هي:

أولا: التفاعل الصوتي في السياق ودلالته الوظيفية.

ثانيا: التفسير الصوتي للتغيرات الصرفية.

ثالثا: دلالة الجملة الاسمية والفعلية علي الثبوت والتجدد.

رابعا: التعريب والمشترك اللفظي.

خامسا: التعريب والترادف.

سادسا: المصاحبات اللغوية.

سابعا: المحظورات اللغوية.

أقسام المكان وحدود مادة البحث منها

المقصود بالأمكنة في هذا البحث هي الأمكنة المختصة غير المشتقة. ولبيان مدلول المصطلح (المختصة غير المشتقة) يجدر بنا أن نعرف المكان ونحدد أقسامه في اللغة العربية، ثم نحدد ملامح كل قسم منها.

قال أبو البقاء الكفوي: "والمكان: لغة: الحاوي للشيء المستقر، كمقعد الإنسان من الأرض وموضع قيامه .. وهو فعال من التمكن لا مفعل من الكون، كالمقال من القول، لأنهم قالوا في جمعه: أمكنة وأماكن"(١)

قال ابن يعيش في تعريف المكان: "أما المكان فكل ما تصرف عليه واستقر فيه من أسماء الأرضين"(٢)

المكان في اللغة ثلاثة أقسام:

١- مختص (محدود).

٢- مبهم (غير محدود).

٣- مشتق.

١ - المكان المختص:

هو ما دل علي مكان معين، أي له صورة محدودة وحدود معلومة تحصره، نحو: دار، بيت، بلد، حديقة.... ومنه أسماء البلاد والقري والجبال والأنهار والأودية.

ويأتي لنا ابن السراج بأمثلة تؤكد هذا المعني، فيقول: "وأما مكة والمدينة والمسجد والدار والبيت، فلا يجوز أن يكن ظروفا، لأن لها أقطاراً محدودة معلومة"(٣)

---

(١) الكليات: تحقيق د/ عدنان درويش ومحمد المصري- الرسالة- بيروت- ١٩٩٣، ٨٢٦

(٢) شرح مفصل الزمخشري، مكتبة المتنبي- القاهرة- (د. ت)، ٤٣/٢

(٣) ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق/ عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٩٩٦م، ١٩٧/١

ويعرف ابن عقيل- في شرحه لألفية ابن مالك- المكان المختص في عبارة موجزة قائلاً: "المكان المختص هو ما له أقطار تحويه"(١)

ويزيد الصبان- في حاشيته علي الأشموني- هذا المعنى وضوحا، فيقول: "والمراد بالمختص هنا: ما له هيئة وشكل يدرك بالحس الظاهر. وحدود أي نهايات من جهاته محصورة أي مضبوطة"(٢)

ويقول ابن يعيش: "والمكان المختص ما كان له حدٌّ ونهاية، نحو: الدار والمسجد والجامع والسوق ونحو ذلك"(٣)

وتهدف الدراسة إلي تناول هذا القسم من الأمكنة شريطة ألا تكون الأمكنة المختصة مشتقة، مثل: مَسْجِد، مَرْصَد، مشرق، مغرب ......

٢ - المكان المبهم:

هو ما دل علي مكان غير محدد المعالم، أي ليس له حدود تحصره أو صورة محدودة.

ويعرف ابن السراج المكان المبهم بأنه "هو الذي ليست له حدود معلومة تحصره. وهو يلي الاسم من أقطاره، نحو: خلف وقدام وأمام ووراء وما أشبه ذلك. ألا تري أنك إذا قلت: قمت خلف المسجد لم يكن لذلك الخلف نهاية تقف عندها، وكذلك إذا قلت: قدام زيد، لم يكن لذلك حد ينتهي إليه، فهذا وما أشبهه هو المبهم الذي لا اختلاف فيه أنه ظرف"(٤).

---

(١) ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية- بيروت ١٩٨٧م، ٥٨٤/١

(٢) الصبان: حاشيته علي شرح الأشموني للألفية: المطبعة العامية الشرفية- القاهرة- (د. ت)،٥٤/٢

(٣) شرح المفصل: ٤٣/٢.

(٤) الأصول في النحو: ١٩٧/١.

ويقرر ابن يعيش ما قاله ابن السراج في تعريف المكان المبهم بقوله: "فالمبهم ما لم يكن له نهاية ولا أقطار تحصره، نحو الجهات الست"[١]

والمبهم كالجهات الست، نحو: فوق، تحت، يمين، شمال، أمام، خلف، وملحقاتها، نحو: جانب، ناحية، مكان. والمقادير، نحو: ميل، فرسخ، بريد .....

وقد يسأل سائل فيقول: إن المقادير معلومة المقدار والمسافة، فلماذا أدرجت ضمن الأمكنة المبهمة؟

يرد ابن عقيل علي هذا السؤال، فيقول: "أما المقادير، فمذهب الجمهور أنها من الظروف المبهمة، لأنها وإن كانت معلومة المقدار فهي مجهولة الصفة"[٢]

فهو بهذا يريد أن يقرر أنها لا تلزم بقعة بعينها، فإبهامها من جهة أنها لا تختص بمكان معين.

وتأسيسا علي ما سبق، يمكن استخلاص نتيجة مؤداها أن:

أ- الجهات الست وملحقاتها مبهمة المكان والمسافة معاً.

ويزيد لنا الصبان المعني وضوحا، فيقول: "وإنما كانت مبهمة لعدم لزومها مسمي بخصوصه، لأنها أمور اعتبارية، أي باعتبار الكائن في المكان، فقد يكون خلفك أماما لغيرك، وقد تتحول فينعكس الأمر، لأنه ليس لها أمد معلوم فخلفك مثلا اسم لما وراء ظهرك إلي آخر الدنيا"[٣]

ب- المقادير مبهمة المكان، محدودة المسافة أو المقدار، لذلك يقال: إنها شبيهة بالمبهم، فهي مبهمة حكما؛ لأنها ليست شيئا معينا في الواقع.

---

(١) شرح المفصل: ٤٣/٢.

(٢) شرح ألفية ابن مالك: ٥٨٣/١.

(٣) حاشية الصبان علي الأشموني: ١٣٦/١.

ج- الأمكنة المبهمة تلزم سلوكا إعرابياً ثابتاً، هو النصب علي الظرفية، وبذلك تكون دراسة السلوك النحوي ليست ذات قيمة، لأن السلوك ثابت ومحدد الاتجاه(١)

٣- المكان المشتق: هو ما صيغ علي وزن "مَفْعَل" أو "مَفْعِل" من الثلاثي للدلالة علي المكان. وذلك مثل: مسجد، مشرق، مرمي، مطعم، .... ومن غير الثلاثي، نحو مستقر، مستخرج،...(٢)

والدراسة لا تُعْنَي بكل اسم مشتق دال علي المكان، سواء أكان مبهما، نَحْوُ: جلست مجلساً. أم مختصاً، نحو جلست مجلس زيد. كما أن الدراسة لا تُعْنَي بكل اسم مشتق دال علي المكان سواء توافق معنوياً وصرفياً مع عامله، نحو: جلست مجلس المتعلم، أو توافق معنويا فقط مع عامله، نحو: جلست في مرمي الكرة، قعدت في مجلس زيد.

أولا: التفاعل الصوتي في السياق ودلالته الوظيفية:

---

(١) انظر تفصيل القول في ذلك: شرح ابن عقيل لهذه الآبيات الثلاثة من ألفية ابن مالك:

فانصبه بالواقع فيه مظهرا   كان وإلا فانوه مقدرا
وكل وقت قابل ذاك وما   يقبله المكان إلا مبهما
نحو الجهات والمقادير وما   صيغ من الفعل كمرمي من رمي

(٢) انظر: أ/ عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف- القاهرة- ١٩٩٣م، ٣/٣١٨، ٣١٩

تتأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل. والأصوات في تأثرها تهدف إلي نوع من المماثلة Assimilation أو المخالفة Dissimilation بينها. ويكون الدافع الأساسي وراء ذلك هو الاقتصاد في الجهد العضلي أثناء النطق. (١)

وتأثر الأصوات بعضها ببعض ليس مقصوراً علي الصوامت Consonants بل قد يكون أيضا في الصوائت أو الحركات Vowels وهو ما يسمي بانسجام أصوات اللين Vowels Harmony(٢)

ونعرض فيما يلي للدلالة الوظيفية لسلوك الأصوات أو الحركات في السياق من خلال تفاعلها وتأثرها بسابقها أو لاحقها، ونحاول تفسير ذلك في ضوء قانوني المماثلة والمخالفة.

- الجبال:

في قوله تعالي: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ﴾(٣) نجد أن حرف الجر (مِنْ) المبني علي السكون، قد تحرك سكونه إلي الفتحة ليخالف بذلك سكون لام التعريف في كلمة (الجبال) التالية له. وهذا يعني أن الدلالة الوظيفية للفتح هنا هي التخلص من التقاء الساكنين، لأن ذلك يمثل صعوبة في النطق.

ويمكن تمثيل مراحل التأثر الصوتي كما يلي:

نْ + ↓ لْ ↓ مخالفة ⟵ نَ + ↓ لْ ↓

(١) انظر: د/ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، الأنجلو المصرية- القاهرة- ط٥- ١٩٧٥، ١٧٨، ٢٥١.

وانظر كذلك: د/ رمضان عبد التواب: التطور اللغوي، مظاهرة وعلله وقوانينه، الخانجي- القاهرة- ط٣- ١٩٩٧- ص٣٠.

(٢) انظر: د/ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ١٨٢.

(٣) الحجر / ٨٢.

سكون + سكون مخالفة ←فتحة + سكون

ولعله من المفيد الإشارة إلي التحليل المقطعي لهذا التركيب (من الجبال) قبل التخلص وبعده، لإبراز التخفيف، الذي حققه التخلص.

مِنْ الجِبَالِ: مِنْ + اَلْ + جِ + بَا + لِ

ص ح ص + ص ح ص + ص ح + ص ح ح + ص ح

مِنَ الجِبَالِ: مِ + نَلْ + جِ + بَا + لِ

ص ح+ ص ح ص + ص ح + ص ح ح+ ص ح

ولعلك تلحظ معي التغير الذي طرأ علي المقطع الأول حيث تحول من (منْ) إلي (مِ)، أي من مقطع متوسط مغلق (ص ح ص) إلي مقطع قصير مفتوح (ص ح). وتحول المقطع الثاني من (ال) إلي (نَلْ) وكلاهما متوسط مغلق، ولاشك في أن التغير الكيفي في نوع المقاطع قد أسهم في تخفيف النطق وتسهيله.

- **الحدب:**

وفي قوله تعالي: ﴿ حَتَّي إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾[1] يتأثر التنوين في كلمة (حدبٍ) بالياء التي تليه في كلمة (ينسلون)، فيقلب ياء ساكنة ثم تدغم في الياء التي تليها، وينطقان صوتاً واحداً مشدداً. ويمكن تمثيل مراحل التأثر الصوتي كما يلي:

حدبٍنْ يَنسلون قلب ← حَدَبِيْ يَنسلون إدغام ← حَدَبِ يَّنسلون.

---

(1) الأنبياء: ٩٦.

وعلي ذلك، فإن الدلالة الوظيفية للإدغام هي التخفيف وتسهيل النطق. "وقد علل القراء إدغام النون أو التنوين في الياء والواو لتجانسهما في صفات الانفتاح والاستفال والجهر. والشبه القوي بين النون والواو والياء لاتساع الهواء معهما في حال نطقهما"[١] والقراء يطلقون علي هذا النوع من الإدغام ناقصاً، لذهاب الحرف وهو التنوين وبقاء الصفة وهي الغنة "وقد أبقوا الغنة لتكون أمارة ودليلاً علي الحرف المدغم"[٢]

والتأثر هنا جزئي، لأن الإدغام الناقص لا يتم فيه فناء الصوت الأول كلية في الصوت الثاني "بل يترك الصوت بعد فنائه أثراً يشعر به كما هو الحال في الإدغام مع الغنة"[٣]

والمماثلة هنا رجعية Regressive؛ لأن التأثير مدبر، أي أن التأثير من الصوت اللاحق (الياء) علي السابق (التنوين). ومسوِّغ الإدغام بين صوتي (التنوين أو النون والياء) هو – كما قال القراء – تجانسهما في صفات الانفتاح والاستفال والجهر. فكلا الصوتين مجهور Voiced[٤]. وكلاهما منفتح[٥]

ثانيا: التفسير الصوتي للتغيرات الصرفية:

---

(١) د/ إبراهيم نجا: التجويد والأصوات، مطبعة السعادة– القاهرة– ١٩٧٥م، ١١٠.

(٢) المرجع السابق: ١٠٩.

(٣) د/ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، الأنجلو– القاهرة– ١٩٧٥م– ١٨٦.

(٤) انظر سيبويه: الكتاب، ٤/٤٣٤.

(٥) انظر: المصدر السابق: ٤/٤٣٦.

وكل فرع من هذه الفروع (الأصوات، الصرف، النحو) يستفيد من نتائج سابقه ويخدم لاحقه. فالصرف- مثلاً- يعتمد في توضيح مسائله علي نتائج البحث الصوتي، وهو في الوقت نفسه يخدم النحو ويسهم في توضيح مشكلاته وتفسيرها. **ويمكن أن نمثل للارتباط بين الصرف ونتائج البحث الصوتي من خلال الإبدال في وزن "افتعل" كما يلي:**

المادة الأصلية	الصيغة القياسية المفترضة	الصيغة الموجودة في الواقع اللغوي
صلح	اصتلح	اصطلح

الملاحظ أن تاء "افتعل" قد أُبْدلت طاءً. ويُفَسَّر هذا الإبدال في ضوء قانون المماثلة الصوتية Assimolation، وذلك لأن الصوت المطبق (الصاد) قد أثّر فجعل التاء تتحول إلي أقرب الأصوات المطبقة منها، وهو صوت الطاء، كما يلي:

ص ↓ + ت ↓ ——◄ مماثلة ص ↓ + ط ↓

مطبق ◄—— منفتح   مطبق   مطبق

والمماثلة هنا تقدمية Progressive، لأن الصوت السابق (الصاد) قد أثر في الصوت اللاحق (التاء).

- الغائط:

إن كلمة (غَائِط) أصلها (غاوِط)، ولكن قلبت الواو في (غاوط) إلي همزة، فصارت غائطاً. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما التفسير الصوتي لهذا التغير الصرفي؟

إن الواو صوت رخو أو احتكاكي Frictive، والطاء صوت شديد أو انفجاري Plosive. [1]، فأثرت الطاء في الواو وغيَّرتها إلي صوت شديد (الهمزة). ويمكن تمثيل ذلك كما يلي:

و ↓ + ط ↓ مماثلة ء ↓ + ط ↓

(1) انظر سيبويه: الكتاب: ٤/٤٣٤، ٤٣٥.

رخو ← شديد شديد شديد

ويؤكد ذلك ما قاله الدكتور إبراهيم أنيس: "تميل الأصوات العربية في مجاورتها إلي الانسجام في صفتي الشدة والرخاوة. فإذا تجاوز صوتان أحدهما شديد والآخر رخو، غلب أن تتغير صفة أحدهما، ليصبح الصوتان شديدين أو رخوين"(١). وعلي ذلك، فقد فُسِّر قلبُ الواو في (غاوِط) إلي همزة في (غائِط) في ضوء قانون المماثلة الصوتية Assimslation. والمماثلة هنا رجعية Regressive، لأن الصوت اللاحق (الطاء) قد أثر في الصوت السابق (الواو). وهي تباعدية Distant لوجود حركة قصيرة Short vowel بينهما (الكسرة).

وبذلك، فإن الدلالة الوظيفية لقلب الواو في (غاوط) إلي همزة في (غائط) هي تحقيق التماثل والانسجام مع صفات الصوت التالي وهو (الطاء)، وبذلك يتحقق الانسجام للنسيج الصوتي للكلمة.

- الصراط:

إن كلمة (الصراط) أصلها (السراط)، ولكن قلبت السين صاداً، فصارت الصراط.

وإذا أردنا أن نلتمس تفسيراً لذلك، وجدنا أنه "من المعروف في العربية أن أصوات الاطباق تمدُّ نفوذها إلي ما يسبقها ويتبعها من أصوات"(٢)

وبيان ذلك أن الطاء حرف مُطْبَق Velarized،والسين حرف غير مطبق، أي منفتح(٣)، وقد أثَّر الصوت المطبق (الطاء) في الصوت المنفتح (السين)، فتحول إلي أقرب الأصوات المطبقة منه، وهو صوت الصاد.

---

(١) د/ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ٢٥٣.

(٢) د/ أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ٣٢٩.

(٣) انظر: سيبويه: ٤/٤٣٦.

يقول سيبويه: "ولولا الإطباق لصارت الطاءُ دالاً، والصادُ سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيءٌ من موضعها غيرُهَا"(١)

ويمكن تمثيل ما سبق كما يلي:

س + ط　　مماثلة　　ص + ط

↓　　↓　　　　　↓　　↓

منفتح ⟵ مطبق ⟵ مطبق　مطبق

وبذلك، فقد فسر هذا الإبدال في ضوء قانون المماثلة الصوتية Assimilation والمماثلة هنا رجعية Regressive لأن الصوت اللاحق (الطاء) قد أثر في الصوت السابق (السين). والمماثلة تباعدية Distant لوجود فاصل بين الصوتين.

وعلي ذلك، فإن الدلالة الوظيفية لإبدال السين صاداً، هي تحقيق المماثلة مع الطاء بعدها في صفة الإطباق. ولاشك في أن انسجام صفات الحروف يحقق الانسجام للنسيج الصوتي للكلمة.

(١) الكتاب: ٤/٤٣٦

ثـالثـا: دلالة الجملة الاسمية والفعلية علي الثبوت والتجدد:

الأصل في اللغة أن تدل الجملة الفعلية علي التجدد والتغير؛ لأن الأفعال أحداث منقضية ومتجددة، أي تطرأ وتزول، فليس لها صفة الثبوت والدوام.

والأصل في الجملة الاسمية أن تدل علي الثبوت والدوام. ولكن، **هل يمكن أن تدل الجملة الاسمية علي التجدد في ظل قرينة لفظية أو معنوية؟**

وهل يمكن أن تدل الجملة الفعلية علي الثبوت في ظل قرينة لفظية أو معنوية؟

إن الإجابة عما سبق تتجلي في البيان التطبيقي التالي.

- الأرض:

في قوله تعالي: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة﴾[١]

كان الحديث عن صفة ثابتة للأرض، وهي سعتها. واتساع الأرض قد استقر وثَبَتَ، وأصبحت الأرض غير قابلة للنمو والزيادة، ومن هنا كان التعبير عن اتساع الأرض بجملة اسمية مناسبا للمعني المراد وهو نسبة الاتساع إلي الأرض نسبة ثابتة مفرغة من الزمن والحركة والتغير. فالجملة الاسمية "تعبر عن نسبة صفة إلي شيء: البيت جديد"[٢] ولو قيل: وأرض الله تتسع، لأفاد ذلك النمو والزيادة. ويؤكد ذلك ما قاله السكاكي: "وأما الحالة المقتضية لكون الجملة فعلية، فهي إذا كان المراد التجدد......... وأما الحالة المقتضية لكونها اسمية، فهي إذا كان المراد خلاف التجدد والتغير "[٣].

وعندما كان الحديث عن ظاهرة طبيعية تتجدد وحدث عادي يتكرر، وهو إنزال المطر من السماء وإسكانه في الأرض، عُبِّر عنه بجملة فعلية، في قوله تعالي: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ

([١]) الزمر / ١٠.

([٢]) فندريس: اللغة، ١٦٣.

([٣]) السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٩٨٣، ٢١٨.

السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ) (١) ؛ لأن نزول المطر ظاهرة طبيعية قابلة للتخلف، أي غير مطردة. والفعل (أنزل) مسند إلي الله تعالي، وكذلك الفعل (أسكن). وإسكان الماء في الأرض مرهون بنزوله من السماء. ونزول المطر من السماء ليس مستمراً، بل هو قابل للتخلف والتجدد. وعلي ذلك ، كان مناسباً أن يُعَبّر عن إنزال المطر من السماء وتخزينه في الأرض في شكل عيون وينابيع، بجملة فعلية،حيث إن المراد من الجملة الدلالة علي التجدد دون الثبوت. ويؤكد ذلك ما قاله القزويني: "وفاعليتها لإفادة التجدُّد وأسميتها لإفادة الثبوت، فإن من شأن الجملة الفعلية أن تدل علي التجدد، ومن شأن الاسمية أن تدل علي الثبوت".(٢)

- الوصيد:

في قوله تعالي:﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾(٣) عُبّر عن هيئة الكلب في فناء الكهف بجملة اسمية (كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)، للدلالة علي ثبات هذه الهيئة. ويزيد عبد القاهر الجرجاني هذا المعني وضوحاً، فيقول: "فانظر إلي قوله تعالي: (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)، فإن أحدا لا يشك في امتناع الفعل ههنا، وأن قولنا: (كلبهم يبسط ذراعيه)لا يؤدي الغرض......... ولا فرق بين "وكلبهم باسط" وبين أن يقول: "وكلبهم واحد" مثلاً، في أنك لا تثبت مزاولة، ولا تجعل الكلب يفعل شيئاً، بل تثبته بصفة هو عليها فالغرض إذن تأدية هيئة الكلب"(٤)

(١) المؤمنون/ ١٨.

(٢) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق/ محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني- ط٥- ١٩٨٠، ١٩١

(٣) الكهف/ ١٨.

(٤) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني- القاهرة- ١٩٩٢م، ١٧٥.

ولنا في كلمة (باسط) وقفتان، هما:

الأولي: معلوم أن اسم الفاعل يدل علي "الحدث والحدوث وفاعله"[١]. وإذا أردنا أن نفسر دلالة كلمة (باسط) في ضوء الدلالات التي تضمنها هذا التعريف، وجدنا أن كلمة (باسط) تدل علي معني مجرد، وهو (البَسطْ أو المد). كما أنها تدل علي الحدوث والتجدد؛ فالمعني الحادث معني عارض غير دائم. أي يطرأ ويزول، فليس له صفة الثبوت والدوام. فاسم الفاعل مفيد "لمعني المضارع من حال أو استقبال ومثلهما الاستمرار التجددي.......... ودلالة اسم الفاعل علي التجدد أغلبية، ومن غير الغالب نحو: مستقر ودائم"[٢].

كما أنها تدل علي الذات (الكلب) التي فعلت الحدث (البسط).

وإذا كان اسم الفاعل يدل علي فاعل الحدث، ويجري مجري الفعل المضارع في الدلالة علي التجدد والحدوث، فكيف يمكن أن يستخدم في الدلالة علي الثبوت والدوام؟

يرد خالد الأزهري علي هذا السؤال، فيقول: "إذا قصد باسم الفاعل معني الثبوت عومل معاملة الصفة المشبهة"[٣] ويقول الصبان: "والفرق بين فاعل وغيره من الصفات أن الأصل في فاعل قصد الحدوث، وقصد الثبوت طارئ فلا يعتبر إلا مع ما يدل علي خروجه عن الأصل واستعماله في الثبوت"[٤]. وهذا يعني أن اسم الفاعل إذا قصد به النص علي الثبوت دون الحدوث، وقامت قرينة تدل علي هذا، كان– في معناه– صفة مشبهة[٥]

---

(١) خالد الأزهري: شرح التصريح علي التوضيح، ٦٥/٢.

(٢) الصبان: حاشيته علي شرح الأشموني للألفية، ١٩١/٢، ١٩٢

(٣) شرح التصريح علي التوضيح، ٧٠/٢.

(٤) حاشية الصبان علي الأشموني، ٢٠٦/٢.

(٥) عرَّف ابن هشام الأنصاري الصفة المشبهة، فقال: "وهي الصفة المَصُوغَةُ لغير تفضيل لإفادة الثبوت، كـ (حَسنٍ، وظريفٍ، وطاهرٍ) ..... وهي الصفة المَصُوغَةُ لغير تفضيل، لإفادة نسبة

وهناك قرائن لفظية ومعنوية تدل علي أن صيغة (فاعل) لا يراد منها الحدوث، وإنما يراد منها الثبوت.

ومن القرائن اللفظية، إضافة اسم الفاعل من الثلاثي اللازم إلي فاعله، كطاهر القلب، وشاحط الدار، أي بعيدها. والأصل طاهر قلبُه وشاحط دارُه(١) .

ومنها أن تكون صيغته اللفظية صريحة الدلالة علي الدوام، نحو: دائم، خالد، مستديم، مستقر. وقد أشار الصبان إلي ذلك سالفاً.

ومثال القرينة المعنوية: الحديث عن هيئة ثابتة، كما في قوله تعالي: (وكلبهم باسط ذراعية بالوصيد)، فالمراد هنا تأدية هيئة الكلب الثابتة، ومن هنا فإن كلمة (باسط) في معناها ودلالتها (صفة مشبهة)، وليست (اسم فاعل) إلا في الصيغة والأحكام النحوية الخاصة بها. وبذلك، فقد تخلي اسم الفاعل عن دلالته الخاصة (التجدد والحدوث)، وانتقل إلي اختصاص آخر، هو اختصاص الصفة المشبهة في الدلالة علي الثبوت والدوام.

وهذا يعني أن وزن (فاعل) وحده ليس كافياً في الدلالة علي الحدوث أو علي الثبوت والدوام، فلابد معه من القرينة التي تعيّن أحدهما.

الحدث إلي موصوفها دون إفادة الحدوث. مثال ذلك: "حَسَنٌ" في قولك: "مررت برجل حسَنِ الوجه، فحسن: صفة، لأن الصفة ما دلَّ علي حدث وصاحبه وهذه كذلك، وهي مصوغة لغير تفضيل قطعاً، لأن الصفات الدالة علي التفضيل هي الدالة علي مشاركة وزيادة كأفضل وأعلمَ وأكثرَ، وهذه ليست كذلك وإنما صِيغَتْ لنسبة الحدث إلي موصوفها، وهو الحُسْنُ، وليست مصوغة لإفادة معني الحدوث، وأعني بذلك أنها تفيد أن الْحسنَ في المثال المذكور ثابت لوجه الرجل، وليس بحادث مُتَجَدِّد، وهذا بخلاف اسمي الفاعل والمفعول، فإنهما يفيدان الحدوثَ والتجدُّد، ألا تري أنك تقول: "مررت برجل ضارب عَمْرَاً" فنجد (ضارباً) مفيداً لحدوث الضرب وتجَدُّدِه" شرح قطر الندي: ٣٨٩، ٣٩٠.

(١) انظر: شرح التصريح علي التوضيح، ٧٨/٢. وكذلك: حاشية الصبان علي الأشموني، ٢٠٦/٢.

والوقفة الثانية: هي أن اسم الفاعل (باسط) نصب (ذراعيه) وهو بمعني الماضي[١].
ويعلل لنا أبو البركات بن الأنباري ذلك، فيقول: "(ذراعيه) منصوب (بباسط)، وإنما أعمل اسم الفاعل، وإن كان للماضي، لأنه أراد به حكاية الحال"[٢].
ويؤكد ذلك ما قاله العكبري: "و (باسط) خبر المبتدأ، و (ذراعيه) منصوب به، وإنما عمل اسم الفاعل هنا وإن كان للماضي، لأنه حال محكية"[٣].

- الجبال:

وفي قوله تعالي: ﴿وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون﴾[٤] نجد أن الناظر إلي الجبال يظنها ثابتة، لأنها أوتاد الأرض ووظيفتها في الأرض التثبيت. ولكنها في حقيقة الأمر تتحرك مع الأرض في دورتها اليومية حول محورها، ودورتها السنوية حول الشمس. لذلك كان مناسبا أن يعبر عن تجدد حركتها– لأنها دورية منتظمة– بالفعل (تمر)، حيث إن الجملة الفعلية "هي التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متجددا"[٥].
وجملة (هي تمر) اسمية الصدر، فعلية العجز، فهي جملة اسمية غير محضة، أي غير خالصة، لأن خبرها جملة فعلية لذلك فإنها تفيد مع الثبوت التجدد.

- مغارات:

وفي قوله تعالي: ﴿لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون﴾[٦]

---

(١) انظر تفصيل القول في شروط عمل اسم الفاعل عمل فعله في النصب: خالد الأزهري: شرح التصريح علي التوضيح، ٢/٦٥، ٦٦.
(٢) البيان في غريب إعراب القرآن، ٢/١٠٣.
(٣) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ٢/١٠٠.
(٤) النمل/ ٨٨.
(٥) د/ مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه. المكتبة العصرية– ١٩٦٤م، ٤١.
(٦) التوبة/ ٥٧.

استخدم أسلوب الشرط في سياق الحديث عن حقيقة موقف المنافقين من المؤمنين، "والجملة الشرطية تركيب يتكون من جملتين تربطهما الأداة برباط الشرط، فتجعل ثانيتهما متعلقة بالأولي، فلا تقع إلا بوقوعها ولا يتحقق وجودها إلا بتحقق وجود الأولي. والجملة الأولي قد تكون محتملة الوقوع وعدم الوقوع، وقد تكون مؤكدة الوقوع، وهي في كلا الأمرين لما تقع بعد"(١). "وأداة الشرط تفيد دائما التعليق، أي توقف حصوله شيء أو عدم حصوله، علي أمر آخر، فيكون الثاني – في الأغلب– مترتبا علي الأول وجودا أو عدما"(٢). وكانت أداة الشرط هنا (لو)، وقد "فسرها سيبويه بأنها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، وفسرها غيره بأنها حرف امتناع لامتناع"(٣). وبذلك تكون الدلالة الشرطية للأداة "لو" هي امتناع وجود الجواب لامتناع وجود الشرط، أي امتناع فرار المنافقين لامتناع وجود الملجأ الذي يفرون إليه. لذلك امتنعت جملتاها عن الثبوت، ولزم أن تكونا فعليتين؛ لأن الدلالة التي تؤديها الجملة الاسمية (الثبوت) تعارض وتناقض التعليق الذي تفيده أداة الشرط، وذلك بخلاف الجملة الفعلية، فإنها تقبل التعليق ولا تعارضه. وهذا يعني أن التعارض بين مدلول أداة الشرط، ومدلول المبتدأ مع خبره، يحول دون اجتماعهما في جملة واحدة. يقول السكاكي: "وأما كلمة "لو" فحين كانت لتعليق ما امتناع بامتناع غيره علي سبيل القطع، كما تقول: "لو جئت لأكرمتك، معلقا لامتناع إكرامك بما امتنع من مجيء مخاطبك، امتنعت جملتاها عن الثبوت، ولزم أن يكونا فعليتين"(٤).

- برزخ:

---

(١) د/ مصطفي إبراهيم: البنية النحوية لشعر عروة بن الورد، دار الوفاء– المنصورة– ١٩٨٩م، ١٧٧.

(٢) ا/ عباس حسن، النحو الوافي، ١٤٦/٢.

(٣) ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك، ٤٧/٢.

(٤) السكاكي: مفتاح العلوم، ٢٤٦.

عندما كان الحديث عن حقيقة ثابتة من حقائق الوجود، عبر عنه بجملة اسمية، في قوله تعالي: ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾[١]، لأن "موضوع الاسم علي أن يثبت به المعني للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء"[٢].

فالمراد من الجملة هو الحكم بوجود البرزخ بين البحرين علي الإطلاق، أي إثبات وجود البرزخ بين البحرين، ويكون هذا الإثبات مفرغا من الزمن والحركة، دون القصد إلي جعله يتجدد ويحدث شيئا فشيئا. ولما كانت الجملة تدل علي هيئة ثابتة وشيء قد استقر وجوده ولم يكن ثم تجدد وتغير، فلا يصلح إلا الاسم، لأن "أصل الاسم صفة أو غير صفة الدلالة علي الثبوت".[٣] والظرف (بين) متعلق بمحذوف خبر مقدم تقديره (مستقر أو موجود أو كائن).[٤]

---

(١) الرحمن/ ٢٠.

(٢) عبد القادر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ١٧٤.

(٣) السكاكي: مفتاح العلوم، ٢٠٧.

(٤) قال عبد السلام هارون: "قال السيرافي: اعلم أن ظروف الزمان تكون أخبارا للمصادر ولا تكون أخبارا للجثث. وأما ظروف المكان فتكون أخبارا للمصادر والجثث. وإنما كانت ظروف المكان كذلك، لأن الجثة الموجودة قد تكون في بعض الأمكنة دون بعض مع وجودها أعني الأماكن". سيبويه: الكتاب، هامش ١/٤١٨.

وقال ابن عقيل في شرحه لبيت ابن مالك: ولا يكون اسم زمان خبرا عن جثة، وإن يفد فأخبرا "وظرف المكان يقع خبرا عن الجثة، نحو: "زيد عندك". وعن المعني، نحو: "القتال عندك". وأما ظرف الزمان فيقع خبرا عن المعني منصوبا أو مجرورا بفي، نحو: "القتال يوم الجمعة أو في يوم الجمعة. ولا يقع خبرا عن الجثة" شرح ابن مالك: ١/٢١٤، ٢١٣.

وكلمة (برزخ) مبتدأ مؤخر، وهي نكرة، وقد سوغ الابتداء بالنكرة أن الخبر ظرف مقدم. قال ابن عقيل: "الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، وقد يكون نكرة لكن بشرط أن تفيد، وتحصل الفائدة بأحد أمور: أن يتقدم الخبر عليها وهو ظرف أو جار ومجرور"

المرجع السابق: ١/٢١٦.

وإذا كان قد عبر في القرآن عن حقيقة كونية، هي ثبات وجود البرزخ بين البحرين وعدم تغيره أو تجدده بجملة اسمية. في قوله تعالي: (بينهما برزخ لا يبغيان)، فهل يمكن أن يعبر عن المعني نفسه بجملة فعلية، في قوله تعالي: ﴿وجعل بينهما برزخا﴾[1]، مع تجاهل طبيعة الجملة الفعلية التي تدل علي الحركة والتغير والتجدد، والتي تتعارض مع التعبير عن حقيقة كونية ثابتة؟

إن الجملة الفعلية ذات طبيعة حركية، ويؤكد ذلك ما قاله عبد القاهر الجرجاني: "وأما الفعل فموضوعه علي أنه يقتضي تجدد المعني المثبت به شيئا بعد شيء"[2]. ويقرر السكاكي ما قاله عبد القاهر، بقوله: "فالفعل موضوع لإفادة التجدد ودخول الزمان الذي من شأنه التغير في مفهومه"[3]. وهذا يعني أن الحديث إذا كان المراد منه إفادة التجدد والتغير وتخصيص المعني بزمن معين، كانت وسيلة التعبير عنه الجملة الفعلية. أما إذا كان المراد منه إفادة الثبوت وتفريغ المعني من الزمن، كانت وسيلة التعبير عنه الجملة الاسمية.

والأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، لأنه محكوم عليه، ولابد أن يكون معلوما للمتكلم والسامع معا قبل الكلام، ليقع الحكم علي شيء معلوم. فذكر المجهول أول الأمر يبعث في نفس السامع الحيرة، ويدعوه إلي عدم الإصغاء إلي الحكم"، لذلك لم يجيزوا أن يكون المبتدأ نكرة إلا بمسوغ، لأن النكرة مجهولة غالبا، والخبر حكم، والحكم علي المجهول لا يفيد، ويؤكد ذلك ما قاله ابن هشام: "والأصل في المبتدأ أن يكون معرفة لا نكرة، لأن النكرة مجهولة غالبا، والحكم علي المجهول لا يفيد". شرح قطر الندي وبل الصدي: ١٦٣.

أما الخبر فيكون مجهولا للسامع ويريد المتكلم إعلامه به، والرغبة في إعلان هذا المجهول وكشف أمره، ونسبته إلي المبتدأ هي الداعية للنطق بالجملة الاسمية.

(١) الفرقان/ ٥٣.

(٢) دلائل الإعجاز: ١٧٤.

(٣) مفتاح العلوم: ٢١٨.

ومع وضوح هذه الحقيقة، وهي تفاوت الجملتين الاسمية والفعلية تجددا وثبوتا، فكيف يمكن أن يعبر بالجملة الفعلية عن حقيقة كونية ثابتة عبر عنها بجملة اسمية؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تكمن في طرح سؤال آخر، وهو:

هل بناء الجملة الفعلية (فعل+ فاعل+ مفعول) كاف للدلالة علي الحركة والتغير وتخصيص المعني بزمن معين؟

أري أن هذا البناء ليس كافيا في الدلالة علي التجدد وتخصيص المعني بزمن معين، بل لابد من قرينة تقوم بجانب هذا البناء، لتؤكد وتثبت دلالة الجملة الفعلية علي التجدد أو تنفي عنها هذه الصفة وتثبت لها صفة أخري وهي الثبوت والدوام. وتفسير ذلك أننا إذا تأملنا الفعل (جعل) في جملة: (وجعل بينهما برزخا)، وجدناه يتضمن معني الفعل (خلق)، فهو متعد لمفعول واحد، وهو (برزخا) والخلق صفة من صفات الله تعالي.

ولما كان معني الحدث الذي يشير إليه الفعل (جعل) يدل علي الخلق، والخلق صفة ثابتة من صفات الله تعالي غير عارضة ولا طارئة، فإن ذلك يمثل قرينة معنوية تضفي علي الجملة الفعلية دلالة الثبوت والدوام، لأن الأوصاف المتصلة بالله كالخلق والإيجاد ليست متغيرة ولا متجددة، ولا مؤقتة بزمن محدود تنقضي بانقضائه، لأن هذا لا يناسب الله تعالي. ومن ثم كانت هذه الجملة: (وجعل بينهما برزخا) في معناها ودلالتها جملة اسمية، وليست جملة فعلية إلا في الشكل والبناء والأحكام النحوية الخاصة بها.

وجدير بالذكر أن نشير إلي دلالة اختيار الظرف (بين) في هذه الجملة: (وجعل بينهما برزخا). إن الظرف المكاني (بين) يفيد التخلل بين شيئين، والظرف المكان قيد مكاني علي علاقة الإسناد، لأن "الفعل لا يحمل أية قيمة مكانية والذي يقيد حدث الفعل بمكان هو "الظرف المكاني". فتقييد علاقة الإسناد بالمكان أو بظرف المكان يعد إشارة

نحوية"[1]. وكان العالم اللغوي سيبويه قد وعي هذه الحقيقة اللغوية، وصرح بها في قوله: "ففيه (أي الفعل) بيان متي وقع......... والأماكن لم يبن لها فعل"[2]. وقال ابن يعيش: "ودلالة الفعل علي المكان ليست لفظية، وإنما هي التزام ضرورة أن الحدث لا يكون إلا في مكان ولا يدل علي أن ذلك المكان الجامع أو مكة أو السوق"[3]

وهذا يعني أن الفعل لا يحمل في تكوينه (صيغته أو مادته) دلالة علي المكان، وأن الظرف المكاني هو الذي يقيد حدث الفعل بمكان.

أما الزمن فهو ركن أساسي في تكوين الفعل، فهو يدل عليه بصيغته، فكأن الزمن كامن في بنيته. وتكون وظيفة الظرف الزمني تقييد أو تحديد الزمن الذي يدل عليه الفعل بصيغته. "أما الذي يقيد حدث الفعل بزمن فهو صورته. وأما وظيفة الظرف الزمني فقياس مادة هذا القيد وهو الزمن.......... أي أن الفعل يصدر إشارات زمنية ولا يصدر إشارات مكانية"[4].

وإذا أردنا أن نتتبع دلالة الجملة الإسمية التي تعبر عن الحقائق الموجودة الثابتة، نجدها تفيد الثبوت والاستقرار المكاني. كما في قوله تعالي: (ومن ورائهم برزخ إلي يوم يبعثون) [5].

وقوله تعالي: (وبينهما حجاب وعلي الأعراف رجال) [6].

رابعا: التعريب والمشترك اللفظي:

ويمكن أن نمثل لذلك بلفظ (صلوات):

---

(1) مالك يوسف المطلبي: الزمن واللغة، ١٩٥.

(2) الكتاب: ٣٦/١.

(3) شرح المفصل: ٤٣/٢.

(4) مالك المطلبي: الزمن واللغة، ١٩٥.

(5) المؤمنون/١٠٠.

(6) الأعراف/٤٦.

- صلوات:

قال الخليل: "وصلوات اليهود: كنائسهم، واحدتها صلاة. وصلوات الرسول للمسلمين: دعاؤه لهم وذكرهم وصلوات الله علي أنبيائه والصالحين من خلقه: حسن ثنائه عليهم وحسن ذكره لهم، وقيل: مغفرته لهم وصلاة الناس علي الميت: الدعاء، وصلاة الملائكة: الاستغفار"(١). وقال ابن منظور:"الصلاة من الملائكة دعاء واستغفار، ومن الله رحمة......... وصلوات اليهود: كنائسهم... وأصلها بالعبرانية صلوتا"(٢). وقال الجواليقي: "قوله تعالي "وصلوات" هي كنائس اليهود. وهي بالعبرانية صلوتا"(٣).

وعلي ذلك، فإن النصوص متضافرة علي صحة أصل الكلمة في العبرانية وأن الكنيسة بالعبرانية يقال لها "صلوتا" فعربتها العرب، فقالت: صلاة، وجمعها صلوات، وهي كنائس اليهود، أي الأماكن المخصصة لأداء عباداتهم فيها.

ولعل مما يعزز ما ذهب إليه اللغويون، أن دلالات كلمة (الصلاة) في العربية تعني الرحمة عندما تكون الصلاة من الله علي أنبيائه وعباده الصالحين، وتعني الدعاء والاستغفار عندما تكون من المخلوقين الملائكة والإنس والجن. وهذا يعني أن دلالة كلمة (الصلاة) –المعربة عن صلوتا– علي كنيسة اليهود دلالة دخيلة علي دلالات هذه الكلمة (الصلاة)، وليست دلالة عربية أصيلة. وقد عقد ابن قتيبة بابا في كتابه (تأويل مشكل القرآن) بعنوان "باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة"، وذكر فيه أن الصلاة لها معان مختلفة هي: "الصلاة: الدعاء. قال الله تعالي: (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) يعني: دعاءه. والصلاة من الله: الرحمة والمغفرة. قال الله تعالي: (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) أي مغفرة.

---

(١) العين: ٧/١٥٤.

(٢) لسان العرب: ٤/٢٤٩١.

(٣) المعرب من الكلام الأعجمي علي حروف المعجم، ٢٥٩.

والصلاة: الدين. قال تعالي حكاية عن قوم شعيب: (أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا)(١).

وبالإضافة إلي الدلالات التي عرضها ابن قتيبة، نجد أن الصلاة هي العبادة المخصوصة وأصلها في اللغة الدعاء، فسميت ببعض أجزائها وتشمل: القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح. وأن الصلاة هي كنيسة اليهود، كما سبقت الإشارة إلي ذلك. وهذه دلالة مقترضة، أما الدلالات الأخري فهي دلالات عربية أصيلة.

وبذلك فإن لفظ (الصلاة) من الألفاظ التي اقتبستها العربية من غيرها ثم عربتها، وكان لها نظير عربي أصيل يحمل نفس الصورة دون المعني، وقد أدي ذلك إلي أن أصبح لهذا اللفظ أكثر من معني، ومن ثم دخل دائرة المشترك اللفظي.

يقول الدكتور محمد حسن عبد العزيز: "قد يؤدي تعريب الكلمة إلي أن تتفق في لفظها مع كلمة عربية تختلف في المعني، وهذه الصورة من صور المشترك اللفظي، هي التي تعرف في علم اللغة الحديث بهومونمي Homonymy"(٢).

---

(١) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تحقيق/ السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، ٣٥٥.

(٢) التعريب في القديم والحديث، دار الفكر العربي، القاهرة- ١٩٩٠م، ٧٩.

يفرق علماء اللغة المحدثون لدي دراستهم لتعدد معاني اللفظ الواحد بين مصطلحين أساسيين، هما:

- مصطلح Homonymy: (تعدد المعني نتيجة تطور في جانب اللفظ) أو (كلمات متعددة- معان متعددة) وقد مثل (أولمان) لهذا النوع بكلمة sound.
- مصطلح Ploysemy: (تعدد المعني نتيجة تطور في جانب المعني) أو (كلمة واحدة- معني متعدد) وقد مثل (أولمان) لهذا النوع بكلمة operation.

انظر: د/ أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ١٦٧، ١٦٥.

وانظر كذلك: ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ١٢٥، ١٢٦.

ومما تجدر الإُشارة إليه أن ابن الانباري قد ذهب إلي أن الصلاة من الأضداد، حيث قال: "والصلاة من الأضداد، يقال للمصلي من مساجد المسلمين صلاة. ويقال لكنيسة اليهود صلاة. قال الله عز وجل :(يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكاري) أراد: لا تقربوا المصلي، هذا تفسير أبي عبيدة وغيره. وقال عز ذكره، (لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد). والصلوات عني بها كنائس اليهود واحدتها صلاة"(١).

وإذا صح ما ذهب إليه ابن الانباري في تفسير كلمة (الصلاة) في الآية الأولي بأنها المصلي أو المسجد، وتفسير كلمة (صلوات) في الآية الثانية بأنها كنائس اليهود، فإن من الإنصاف أن نقرر افتعال ابن الانباري لعلاقة التضاد بين المعنيين لأن الكنسية ليست معني مضادا لمعني المسجد، بل مناظرا له، فالتضاد أو التناقض يقتضي المغايرة في وظيفة كل منهما، والوظيفة فيهما واحدة، وهي عبادة الله. ومن هنا فإن العلاقة بينهما ليست علاقة تضاد ولكنها علاقة تناظر. فالمسجد عند المسلمين يناظر الكنيسة عند اليهود؛ لأن الغاية مشتركة أو الهدف منهما واحد، وهو عبادة الله. ولكن الوسيلة أو طريقة العبادة تختلف باختلاف الدين الذي يدين به العابدون في كل منهما. أما علاقة التضاد. فتكون قائمة بين المسجد وهو المكان الذي يعبد فيه الله وبين مكان للكفر والشرك، أي مكان لا يعبد فيه الله.

قد اهتم لغويو العرب القدماء بدراسة المشترك اللفظي- دون تفريق بين نوعيه السابقين عند المحدثين- وعرفه بعضهم بأنه "اللفظ الواحد الدال علي معنين مختلفين فأكثر دلالة علي السواء عند أهل تلك اللغة".

السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم وزميليه، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة- ١٩٥٨، ٣٦٩/١. وأفرد بعضهم مصنفات مستقلة لجمع الألفاظ المشتركة وأبرز هذه الكتب كتاب "المنجد في اللغة" لكراع النمل.

(١) الأضداد، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ١٩٩١م. ٣٣٨.

خامسا: التعريب والترادف:

إن الاقتراض من اللغات الأخري هو أحد الأسباب التي تؤدي إلي وجود الترادف في اللغة، أي دلالة أكثر من لفظ علي معني واحد، وقد يكون أحد الألفاظ المترادفة عربيا أصيلا، ويكون الآخرُ معربّاً، كالبحر واليم واللفظ المعرَّب (اليم) هو لفظ دخل العربية وحدث تغيير في بنيته لتوافق الأوزان الصرفية في العربية، ثم رادف هذا اللفظ المعرَّب بدلالته الأصلية لفظاً عربياً أصيلا (البحر) في الدلالة علي معني واحد.

ويمكن أن نمثِّل لذلك بلفظ "اليم".

- اليم:

قال ابن منظور: "قال الزجاج: اليَمُّ البَحْرُ.......... وزعم بعضُهم أنها لغة سُرْيانية فُعَرَّبَتْهُ العرب وأصله يَمَّا، ويقع اسْمُ اليَمِّ علي ما كان ماؤه مِلْحاً زُعاقاً وعلي النهر الكبير العذب الماء"[١]. وقد شارك الجو اليقي ابن منظور في القول بأن (اليم) هو البحر بالسريانية حيث قال: "اليَمُّ البَحْرُ بالسريانية"[٢]

وإذا أردنا أن نحلل الكلمة من ناحية البنية، وجدنا أن المادة الأصلية أو الجذر المعجمي (يَمَّ) Lexical root يتكون من ثلاثة حروف، هي: الياء والميم الميم. والدلالة الأصلية لهذه المادة قد نصَّ عليها ابن فارس حيث قال: "يَمَّ": كلمة تدل علي قَصْد الشيء وتعمده وقصده. ومنه قوله: (فتَّيممُوا صعيداً طيباً).

وقال الخليل: تيمَّمْتُ فلانا بسهمي ورمحي إذا قصدته دون من سواه.......... فأما البحر ليس من هذا القياس"[٣]

(١) لسان العرب: ٤٩٦٦/٦.

(٢) المعرب من الكلام الأعجمي علي حروف المعجم: ٤٠٣.

(٣) مقاييس اللغة: ١٥٢/٦.

والمدقق في كلام ابن فارس يجد أن المادة الأصلية (يَمَّ) لها دلالة قياسية هي القصد إلي شيء. وهذه الدلالة لا علاقة لها بدلالة اليم علي البحر. وهذا يؤكد أن دلالة اليم علي البحر دلالة دخيلة علي هذا الأصل (يَمَ)؛لأنها تفتقر إلي وجود ملمح دلالي مشترك يربطها بهذا الأصل. ومعلوم أن المدلول الأصلي للجذر يمثل قاسماً مشتركاً بين الكلمات المشتقة من هذا الجذر، كما تفتقر الكلمة إلي سلسلة المشتقات المتجانسة المترابطة، ولاشك في أن "وجود سلسلة من المشتقات تنبئ عن أصالة الكلمة في العربية. وبذلك يكون عدم وجود سلسلة المشتقات دليلاً علي غربة مثل هذه الكلمات عن العربية"[١]. وإذا حللنا الكلمة من ناحية الصيغة Form أو الوزن، نجد النصوص متضافرة علي أن أصل الكلمة في السريانية (يَمَّا) فعربته العرب، فأصبحت الكلمة (اليَمّ). ويعلل لنا أبو عبيد القاسم بن سلام هذا التغيير بأن أداة التعريف في اللغة السريانية هي الفتحة الطويلة في أواخر كلماتها، وأن أداة التعريف في اللغة العربية هي الألف واللام، فعندما أراد العرب تعريب الكلمة، حذفوا الفتحة الطويلة التي هي علامة التعريف في اللغة السريانية ووضعوا الألف واللام التي هي علامة التعريف في اللغة العربية، وبذلك تكون الكلمة قد صيغت في قالب يوافق أوزان العربية وسماتها وخصائصها.

قال أبو حاتم الرازي: "قال أبو عبيد القاسم بن سلام: للعرب في كلامها علامات لا يشركهم فيها أحد من الأمم نعلمه، منها إدخال الألف واللام في أول الاسم وإلزامهم إياه الإعراب في كل وجه، في الرفع والنصب والخفض.... وكذلك اليم هو بالسريانية (يَمّا) فأدخلت العرب تغيير الألف واللام وصرفته في جميع الإعراب علي ما وصف"[٢]. وبناءً علي ما سبق، يمكن أن نقرر أن الكلمة (اليَمّ) لها أصل من ناحية

---

(١) د/ حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، ٧٠.

(٢) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق/ حسين الهمداني، دار الكتاب العربي– القاهرة– ١٩٥٧م– ١/٧٧.

الجذر أو المادة الأصلية، ولكنّ دلالتها لا علاقة لها بدلالة هذا الأصل، فهي دلالة دخيلة علي هذا الأصل، لعدم وجود ملمح دلالي مشترك يربطها بهذا الأصل. وأن صيغة الكلمة قد حدث فيها تغيير لتتوافق مع أوزان العربية، إذ إن أصلها (يمَا) في السريانية فعرّبته العرب، فأصبحت الكلمة (اليَمّ)، وماثلت بذلك كلمة (البحر) في التركيب والنسيج المقطعي، ويمكن توضيح ذلك كما يلي:

اَلْيَمُّ: اَلْ + يَمْ + مُ : ص ح ص + ص ح ص+ ص ح

اَلْبَحْرُ: اَلْ+ بَحْ + رُ : ص ح ص + ص ح ص + ص ح

ويلاحظ أن الكلمتين قد نسجتا علي منوال تركيب مقطعي واحد، وهو التركيب الثلاثي، المكون من ثلاثة مقاطع ، وهي: مقطع متوسط مغلق + مقطع متوسط مغلق + مقطع قصير مفتوح.

وكذلك ماثلت كلمة (اليم) بعد تعريبها كلمة (البحر) في البناء، حيث صيغتا علي وزن واحد، وهو (فَعْل) وهو بناء ثلاثي مجرد. وعلي ذلك، فإن تعريب كلمة (اليم) مع وجود نظير عربي أصيل لها، هو البحر، قد أدي إلي وقوع الترادف بينهما.فهما يدلان علي المكان الواسع الجامع للماء الكثير، ملحاً كان أو عذباً. ولاشك في أن ظاهرة "الاقتباس مع وجود النظير" لها أثرها الكبير في نشأة كثير من المترادفات "كالحرير مع السندس، وكاليم مع البحر"(١) وقد استعملت العرب الكلمات المقتبسة جنباً إلي جنب مع نظائرها العربية الأصيلة، بل ربما ذاع اللفظ الأعجمي علي نظيره العربي الأصيل.

سادسا : المصاحبات اللغوية :

(١) د/ إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، الأنجلو المصرية- القاهرة- ١٩٧٣- ١٨٢.

عرف الدكتور محمد أبو الفرج المصاحبة اللغوية Collocation بقوله: "وعلي ذلك، فهناك في اللغة نوع من التحديد للكلمات المستعملة في تركيب ما دون اعتبار للنحو أو غيره من القواعد اللغوية المعروفة، هذا النوع هو الذي نسميه المصاحبة"(١)

وقد ترجم د/ تمام حسان هذا المصطلح Collocation بالتضام(٢)

وترجم د/ أحمد مختار عمر هذا المصطلح أيضا بتوافق الوقوع أو الرصف(٣) وعرفه (Ullmann)، فقال: "وقد عرف الرصف بأنه الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخري معينة"(٤)

وقد أفرد ابن فارس في كتابه (الصاحبي) فصلا بعنوان "الخصائص"، ألمح فيه إلي ظاهرة المصاحبة اللغوية، واستهله بقوله: "للعرب كلام بألفاظ تختص به معان لا يجوز نقلها إلي غيرها"(٥)

ومن الأمثلة التي ذكرها، ما يلي: "ويقال غط البعير: هدر، ولا يقال في الناقة"(٦)

واقتران كلمة بأخرى في الاستعمال اللغوي بشكل اعتيادي، يسهل استدعاء إحداهما للأخرى، وقد يتنوع هذا الاقتران ليشمل ما يلي:

١ - مصاحبة الضدين:

ويمكن أن نمثِّل لذلك بالبَرّ والبحر، والأرض والسماء.

- البَرّ والبحر:

---

(١) المعاجم اللغوية: دار النهضة العربية- بيروت- ١٩٦٦، ص ١١١

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣، ص٢١

(٣) علم الدلالة: عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٧٤.

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٤

(٥) الصاحبي: تحقيق/ السيد أحمد الصقر، الحلبي- القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٤٤٦.

(٦) المرجع السابق: ص ٤٤٩.

ويلاحظ في الآيات التي تمثل السياق الذي يبرز قدرة الله وإعجازه، مصاحبة كلمة (البَحْر) لكلمة (البَرّ) ، والاستعمال اللغوي في القرآن قد خصَّهما في جوار لُغويّ متلازم، فهما من الألفاظ التي يتكرر تلازمُها واقترانها، شأنهما في ذلك شأن الأرض والسماء، والجنة والنار، والصلاة والزكاة، وغير ذلك من الألفاظ، ولاشك في أن البَرّ خلاف البحر، فهما نقيضان كالجنة والنار، والأرض والسماء. والجمع بينهما يعزز المعني المراد من كلٍّ منهما؛ لأن الشيء يتضح بذكر ضده. وعلي ذلك، فإن جزءاً من معني كلمة (البَرّ) في هذا السياق أنها تصاحب كلمة (البَحْر) . **ومن الآيات التي تبرز هذه المصاحبة، قوله تعالي:**

١- ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾[١]

٢- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[٢]

٣- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاُهْم فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[٣]

وعلي ذلك، فإن المراد بكلمة (البَرّ) هو خلاف البحر، أي الجزء اليابس من الأرض، الذي يشمل المدن والقرى والمفاوز والطرق والأودية وغير ذلك.

ويلاحظ في السياق القرآني وجود مصاحبة لغوية معينة، وهى ارتباط كلمة (الأرض) بكلمة (السموات)، والاستعمال اللغوي في القرآن الكريم قد خصهما في جوار لغوي متلازم، فهما من الألفاظ التي لا تكاد تفترق في القرآن، شأنهما في ذلك شأن الصلاة والزكاة، والجنة والنار وغير ذلك من الألفاظ.

وقد نبه الجاحظ إلي وجود كلمات معينة تصحب أخري دون غيرها، حيث قال: "......... ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين، ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعا

---

(١) الأنعام/ ٦٣.

(٢) الأنعام/ ٩٧.

(٣) الاسراء/ ٧٠.

والجاري علي أفواه العامة غير ذلك.......... وفي القرآن معان لا تكاد تفترق، مثل: الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس"[١]

وقد علق الدكتور محمد أبو الفرج علي هذا النص، فقال: "وهذا النص للجاحظ يدل علي حس لغوي بالغ الدقة.......... وحقا إن الأبصار لا تصاحب الأسماع في القرآن الكريم، بل إن الأسماع بهذه الصورة لم ترد في القرآن، ولكن غالبا ما تصاحب الأبصار السمع، كما أن الأرضين بصيغة الجمع لم ترد في القرآن، وإنما كان الاستعمال دائما "الأرض" ولم ترد السموات إلا بمصاحبة الأرض عن قريب أو بعيد[٢]

ويبسط الدكتور أبو الفرج الحديث في تعليقه علي العبارة الأخيرة في النص المقتبس من الجاحظ، قائلا: "لو أردنا أن نضع عبارة الجاحظ" وفي القرآن معان لا تكاد تفترق، مثل الصلاة والزكاة.........." في أسلوب يتفق مع ما ندعو إليه وما نلمسه في المعاجم، علي طريقتها الخاصة من اتخاذ المصاحبة نوعا يكمل غيره من وسائل تفسير المعني.

لقلنا: وفي القرآن ألفاظ لا تكاد تفترق، مثل الصلاة والزكاة.......... ولأضفنا وجزء من معني كل من الألفاظ أنه يصاحب اللفظ الآخر"[٣]

وعلي ذلك، فإن جزءا من معني كلمة (الأرض) في هذا السياق، أنها تصاحب كلمة السماء.

ومن الآيات التي تبرر هذه المصاحبة، قوله تعالي: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) [١]

([١]) البيان والتبين: تحقيق/ عبد السلام هارون– ١٩٦٨م، ١/٢٠، ٢١

([٢]) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث: دار النهضة العربية– بيروت– ١٩٦٦م، ١١٢.

([٣]) المرجع السابق: ١١٤، ١١٥.

٢ - مصاحبة الصفة للموصوف:

ويمكن أن نمثل لذلك بلفظ (الفج) في قوله تعالي: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلي كل ضامر يأتين من كل فج عميق) [٢]

وقال الرازي: "والفج الطريق بين الجبلين، ثم يستعمل في سائر الطرق اتساعا، والعميق البعيد"[٣]

وعلي ذلك، فإن المراد بالفج هو الطريق الواسع بين الجبلين، ويستعمل في سائر الطرق اتساعا، وجمعه فجاج. وقد جاءت كلمة (فجاجا) وصفا لكلمة (سبلا) بالاتساع، في قوله تعالي: (لتسلكوا منها سبلا فجاجا). ثم تقدمت كلمة (فجاجا) علي كلمة (سبلا) في قوله تعالي (وجعلنا فيها فجاجا سبلا) فوقعت حالا و(سبلا) مفعولا به وهي تفسير وبيان للفجاج، لأن الفج قد يكون طريقا نافذا مسلوكا وقد لا يكون.

والملاحظ أن الاستعمال اللغوي في القرآن قد عبر عن بعد الفج أو الطريق بالصفة (عميق)، ولم يستخدم كلمة أخري تفيد معني البعد، مثل سحيق، طروح. وهذا يعني ملازمة الفج للصفة (العميق) عند التعبير عن بعده. وهذه مصاحبة لغوية مقيدة، نجد في مقابلها ألفاظا أخر يخصص لها الاستعمال اللغوي صفات معينة للتعبير عن بعدها. ويظهر ذلك جليا عند حديث الثعالبي في فصل عقده بعنوان: "فصل في تقسيم الوصف بالبعد" حيث قال فيه: "مكان سحيق. فج عميق. رجع بعيد. دار نازحة.......... سفر شاسع. بلد طروح"[٤]

---

(١) آل عمران/ ١٩٠.

(٢) الحج/ ٢٧.

(٣) التفسير الكبير: ٢٨/١٢.

(٤) فقه اللغة وسر العربية: ٣٢٠.

فعلي الرغم من أن كل صفة من هذه الصفات: سحيق، عميق، بعيد، نازحة، شاسع، طروح، تفيد معني البعد، فإن الاستعمال اللغوي قد خص كل موصوف بصفة معينة، يمكن أن تتركب معه في سياق لغوي متلازم. وعلي ذلك فقد خصص الاستعمال اللغوي في القرآن التعبير عن بعد الفج أو الطريق بالصفة (عميق) دون غيرها من الصفات التي تفيد معني البعد، مثل الصفة (سحيق) التي قيدها الاستعمال اللغوي في القرآن بموصوف خاص وهو (مكان)، في قوله تعالي: (أو تهوي به الريح في مكان سحيق) [١]

وكذلك الصفة التي قيدها الاستعمال اللغوي في القرآن بموصوف خاص وهو (رجع) في قوله تعالي: (أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد)[٢]. وتقييد صفة بموصوف مثل الصفة (عميق) بالموصوف (فج) لا تحكمه قاعدة لغوية معينة، بل هو راجع إلي تعارف الجماعة اللغوية علي هذا التركيب وتقبلها له، بحيث أصبح تلازم الكلمتين معا في الاستعمال اللغوي أمرا مألوفا.

٣ - مصاحبة الفعل للفاعل:

ويمكن أن نمثل لذلك بلفظ (الجدار)، في قوله تعالي: (فانطلقا حتي إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا)[٣]

قال الزجاج: "أي فأقامه الخضر.......... والجدار لا يريد إ'رادة حقيقية، إلا أن هيئته في التهيؤ للسقوط قد ظهرت كما تظهر أفعال المريدين القاصدين فوصف بالإرادة إذ الصورتان واحدة"[٤] وقال القرطبي في إسناد الإرادة إلي الجدار: "وجميع الأفعال التي

(١) الحج/ ٣١.
(٢) ق/ ٣.
(٣) الكهف/ ٧٧.
(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٣/٣٠٦.

حقها أن تكون للحي الناطق متي أسندت إلي جماد أو بهيمة فإنما هي استعارة، أي لو كان مكانهما إنسان لكان ممتثلا لذلك الفعل"[١]

وعلي ذلك، فإن المراد من الجدار هنا هو الحائط الذي كاد أن يسقط، فأقامه الخضر ورده إلي حالة الاستقامة. وإسناد الإرادة إلي الحائط في قوله (جدارا يريد أن ينقض) علي سبيل الاستعارة، لأن الحائط ليست له إرادة حقيقية، لأنه جماد وتغير حالة الجماد من وضع إلي آخر مرهون برغبة الإنسان في ذلك، لأن الإنسان هو الذي لديه الإرادة والقدرة علي تغيير الأشياء. وعلي ذلك، فإن هيئة الجدار في التهيؤ للسقوط هي التي أوحت بأن له إرادة في ذلك، فوصف بالإرادة علي سبيل الاستعارة، أي لو كان مكانه إنسان لكان ممتثلا لذلك الفعل.

والملاحظ أن الاستعمال اللغوي في هذه الآية قد عبر عن سقوط الجدار بالفعل (ينقض) ولم يستخدم فعلا آخر يؤدي هذا المعني، مثل: هوي، خر.

وهذا يعني ملازمة "الجدار" للفعل "ينقض" عند التعبير عن سقوطه. وهذه مصاحبة لغوية مقيدة، نجد في مقابلها ألفاظا أخر يخصص لها الاستعمال اللغوي أفعالا معينة للتعبير عن سقوطها. ويظهر ذلك جليا عند حديث الثعالبي في "فصل السقوط"، حيث قال: "ذرا ناب البعير، هوي النجم، انقض الجدار، خر السقف، طاح الفص"[٢]. فعلي الرغم من أن كلا من هذه الأفعال: (ذرا، هوي، انقض، خر، طاح) تفيد معني السقوط، فإن الاستعمال اللغوي قد خص كلا منها بفاعل خاص يمكن أن يتركب معه في جوار لغوي متلائم.

وعلي ذلك، فقد خصص الاستعمال اللغوي التعبير عن سقوط الجدار بالفعل (ينقض) دون غيره من الأفعال التي تفيد معني السقوط مثل الفعل (هوي) الذي قيده الاستعمال

([١]) الجامع لأحكام القرآن: ١٨/٦.

([٢]) الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، ٣٢٨.

القرآني بفاعل خاص وهو (النجم) في قوله تعالي: ﴿والنجم إذا هوي﴾[١]. والفعل (خر) أيضا، الذي خصص الاستعمال القرآني له فاعلا آ خر، هو (السقف) في قوله تعالي: ﴿فخر عليهم السقف﴾[٢]. وتقييد فعل بفاعل مثل الفعل (ينقض) بالفاعل (الجدار) لا تحكمه قاعدة لغوية معينة، بل هو راجع إلي اتفاق الجماعة اللغوية علي هذا التركيب وتقبلها له، بحيث أصبح الفعل (ينقض) يوحي إلي الذهن معني السقوط وصورة الجدار معا.

سابعا: المحظورات اللغوية:

تعرف الكلمات المحظورة أو كلمات اللامساس باسم Taboo ويعرف حسن التعبير أو تحسين اللفظ باسم Euphemism.

وقد عرف (ستيفن أولمان) حسن التعبير بقوله: "استبدال الكلمات اللطيفة الخالية من أي مغزي سيئ أو مخيف بكلمات اللامساس"[٣].

ويكثر اللامساس أو الحظر في مجال الكلمات الدالة علي الموت والأمراض والمصائب وقضاء الحاجة والأمور الجنسية[٤].

ويمكن أن نمثل لذلك بلفظ "الغائط".

- الغائط:

قال ابن فارس:"والعين والواو والطاء أصل صحيح يدل علي اطمئنان وغور من ذلك الغائط: والمطمئن من الأرض، والجمع غيطان وأغواط"[٥].

---

(١) النجم/ ١.

(٢) النحل/ ٢٦.

(٣) دور الكلمة في اللغة: ترجمة د/ كمال بشر، مكتبة الشباب، بالقاهرة- ١٩٧٢م، ص١٧٧.

(٤) د/ كريم حسام الدين: المحظورات اللغوية، الأنجلو، القاهرة- ١٩٨٥م، ص ٧٦- ١١٧.

(٥) مقاييس اللغة: ٤٠٢/٤.

وعلي ذلك، فإن الدلالة المعجمية لكلمة (الغائط) تعني المكان الخالي والمطمئن من الأرض، والمنخفض حتي يواري ما فيه ويستره.

وقد وردت كلمة (الغائط) في سياق فقهي، وهو بيان الأسباب الموجبة لرخصة التيمم بالتراب إذا فقد الماء.

ويمثل هذا السياق، قوله تعالي: ﴿وإن كنتم مرضي أو علي سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا﴾[١].

قال القرطبي في تفسير (الغائط): "والغائط أصله ما انخفض من الأرض والجمع الغيطان أو الأغواط.......... وكانت العرب تقصد هذا الصنف من المواضع لقضاء حاجتها تسترا عن أعين الناس، ثم سمي الحدث الخارج من الإنسان غائطا"[٢].

وعلي ذلك، فإن كلمة (الغائط) في السياق القرآني كناية عن الحدث الخارج من الإنسان. وقد كانت العادة في ذلك الوقت أن يقضي الرجل العربي حاجته في الغائط، وهو المكان المطمئن والمنخفض من الأرض، حيث هو أستر له ويغيب فيه عن أعين الناس، ثم سمي الحدث غائطا كناية عنه. وأصبح يقال: لكل من قضي حاجته، قد أتي الغائط يكني به عن الحدث. والاستعمال اللغوي في القرآن قد تحول عن المعني المراد التصريح به، وهو الحدث وذكر شيئا ملازما له، وهو مكانه الذي يقضي فيه، وهو الغائط. وهذا يعني أن القرآن قد لجأ إلي الكناية ليتجنب التعبير المباشر عن الحدث وهو من الكلمات المحظورة التي يتحرج من ذكرها، لذلك استخدم تعبيرات راعي فيها حسن التعبير أو تحسين اللفظ، أي التعبير غير المباشر عن المعني المراد، وهو (الغائط) كناية عن المعني المراد، وهو (الحدث). وفي هذه الآية أيضا، نجد القرآن قد تحول عن المعني المراد التصريح به، وهو الجنابة، وذكر سببها، وهو الملامسة. وقد

---

(١) المائدة/٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٥/٢٢٠.

بينت الآية حكم الحدث والجنابة عند فقد الماء. وقد عبر القرآن عن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة بتعبيرات حسنة، مثل: المباشرة، الرفث، الإفضاء. وقد ورد في قوله تعالي: ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾(١).

وقوله تعالي: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلي نسائكم﴾(٢). وقوله تعالي: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضي بعضكم إلي بعض﴾(٣). كما عبر القرآن عن قضاء الحاجة– وهي من الأمور المحظور التصريح بها مباشرة– بتعبير حسن، في قوله تعالي: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾(٤). فقد تجنب القرآن المعني المراد التصريح به، وهو الحدث، وذكر شيئا ملازما له وهو الأكل، لأن من أكل فلابد من عاقبة الأكل، أي أن الحدث نتيجة طبيعية للأكل. ومن هنا لجأ القرآن إلي الكناية عن الحدث بالأكل. وقد عقد ابن فارس بابا للكناية، قال فيه: "الكناية لها بابان: أحدهما أن يكني عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسينا للفظ أو إكراما للمذكور......... وكذلك قوله جل ثناؤه: (أو جاء أحد منكم من الغائط) والغائط: مطمئن من الأرض. كل هذا تحسين اللفظ. والله جل ثناؤه كريم يكني، كما قال في قصة عيسى وأمه عليهما السلام: (كانا يأكلان الطعام) كناية عما لابد لآكل الطعام منه"(٥).

---

(١) البقرة/ ١٨٧.

(٢) البقرة/ ١٧٧.

(٣) النساء/ ٢٤.

(٤) المائدة/ ٧٥.

(٥) الصاحبي: ٤٣٩.

الخاتمة

خرجت هذه الدراسة بمجموعة من النتائج، يمكنني أن أجمل أهمها، فيما يلي:

١- فسر قانون المخالفة الصوتية التخلص من التقاء الساكنين، بتحريك الساكن الأول إلي فتحة أو ضمة أو كسرة لمخالفة الساكن الثاني. والمخالفة بين المثلين أو الساكنين تهدف إلي التخفيف وتسهيل النطق.

٢- فسر قانون المماثلة الصوتية أعلي درجات التأثر بين الأصوات المتجاورة وهو إدغام حرف في آخر؛ لأن أقصي ما يصل إليه الصوت في تأثره بالصوت المجاور أن يقلب مثله ثم يدغم فيه بحيث ينطق بالحرفين كالثاني مشددا بقصد التخفيف وتسهيل النطق. وبذلك كانت المماثلة في أمثلة الإدغام رجعية، لأن التأثير مدبر، أي يكون التأثير من الصوت الثاني علي الصوت الأول.

٣- فسر قانون المماثلة الإبدال في الكلمات الآتية: الصراط- غائط. وكانت المماثلة رجعية، لأن التأثير فيها يكون من الصوت الثاني (الطاء) علي الصوت الأول (السين، الواو).

٤- إذا كان الحد المعنوي الفاصل بين الجملة الاسمية والفعلية هو استاتيكية (Static) الجملة الاسمية- أي دلالتها علي الثبوت- وديناميكية (Dynamic) الجملة الفعلية- أي دلالتها علي الحركة والتغير والتجدد- فإن القرائن اللفظية أو المعنوية قد سلبت الجملة الفعلية دلالتها علي التجدد، وكستها الدلالة علي الثبوت. وحينئذ تكون الجملة الفعلية في معناها ودلالتها اسمية وليست فعلية إلا في الشكل والبناء والأحكام النحوية الخاصة بها.

وهذا يعني أن الجملة الفعلية قد تتشبع بخصائص الجملة الاسمية المتمثلة في دلالتها علي الثبوت في ظل قرينة معنوية أو لفظية تزكي دلالتها علي الثبوت. وذلك كأن يكون الفعل متضمنا معني فعل آخر يشير إلي صفة ثابتة من صفات الله تعالي كالخلق والإيجاد. نحو قوله تعالي: (وجعل بينهما برزخا). وقوله تعالي:

(تبارك الذي جعل في السماء بروجا). أو يكون الفعل مسندا إلي الله تعالي، نحو قوله تعالي: (والله جعل لكم الأرض بساطا).

٥- أثبتت الدراسة أن الجملة الاسمية لم تقتصر علي الدلالة علي الثبوت في السياقات التي عرضت لحقائق الوجود. بل تجاوزت ذلك فدلت علي التجدد بجانب الثبوت. وذلك في ظل قرينة لفظية ؛ هي أن يكون الخبر جملة فعلية ؛ أي عندما تكون الجملة الاسمية ذات وجهين: اسمية الصدر، فعلية العجز، وتسمي الكبري مثل: جملة (هي تمر)في قوله تعالي: (وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب)، فالآية تؤكد حقيقة ثابتة، هي أن الجبال تتحرك مع الأرض في دورتها اليومية حول محورها، ودورتها السنوية حول الشمس، ولكنها حركة متجددة، أي حركة دورية منتظمة لا تتخلف.

٦- أكدت الدراسة أن الجملة الاسمية لم تستخدم في جملتي أسلوب الشرط (الشرط والجواب) في الدلالة علي التعليق الذي تفيده أداة الشرط- أي توقف حصول شيء أو عدم حصوله علي أمر آخر، فيكون الثاني غالبا مترتبا علي الأول وجودا أو عدما؛ لأن دلالة الجملة الاسمية علي الثبوت تعارض وتناقض التعليق الذي تفيده أداة الشرط. وذلك بخلاف الجملة الفعلية، فإنها تقبل التعليق ولا تعارضه. وهذا يعني أن التعارض بين مدلول أداة الشرط ومدلول المبتدأ مع خبره يحول دون اجتماعهما في جملتي أسلوب الشرط. وذلك كما في قوله تعالي: (لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه) وقوله تعالي: (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا).

٧- أبرزت الدراسة أن تعريب لفظ (اليم) -وأصله في السريانية (يما) بمعني البحر- مع وجود نظير عربي أصيل له،وهو البحر، قد أدي إلي وقوع الترادف بينهما. وقد كان لهذه الظاهرة (الاقتباس مع وجود النظير) أثرها في نشأة كثير من المترادفات في اللغة العربية.

٨- أظهرت الدراسة أن تعريب لفظ صلوات- وأصله في العبرية (صلوتا) بمعني الكنيسة- مع وجود نظير عربي أصيل يحمل نفس الصورة دون المعني. قد أدي إلي أن أصبح لهذا اللفظ أكثر من معني. ومن ثم دخل دائرة المشترك اللفظي. وهذه الصورة من صور المشترك اللفظي هي التي تعرف في علم اللغة الحديث بـ Homonymy مشترك التغير في اللفظ (تعدد المعني نتيجة تطور في جانب اللفظ).

٩- أظهرت الدراسة دور المصاحبة اللغوية Collocation في تعضيد المعني المراد من الكلمة في السياق القرآني. ولاشك في أن اقتران كلمة بأخري وتلازمها في الاستعمال اللغوي، يوجد بينهما (علاقة حضورية) بمعني أن ذكر إحداهما يحضر معني الأخري في الذهن ويستدعيه، لأنهما مودعان في الذاكرة اللغوية في جوار واحد. فذكر كلمة (مشحون) يحضر معني (الفلك) ويستدعيه. وذكر كلمة (انقض) يحضر معني (الجدار) ويستدعيه.

١٠- كشفت الدراسة عن خضوع التعبير المباشر عن قضاء الحاجة لحظر الاستعمال تأثرا بفكرة اللامساس (Taboo)، وأستعيض عن ذلك بلفظ خال من أي مغزي سيء، وهو (الغائط) ويعد ذلك ضربا من ضروب حسن التعبير Euphemism ، ومعني ذلك أن تحديد موقع الكلمة في درجة الرقي أو الانحطاط في سلم الاستعمال الاجتماعي مرهون بخروجها من دائرة المحظور (اللامساس) أو دخولها فيه.

١١- أكدت الدراسة اعتماد مستويات التحليل اللغوي (الصرفية، النحوية، الدلالية) علي بعضها، وترابطها وتفاعلها في مسرح الاستعمال اللغوي. ويمكن توضيح ذلك من خلال التطبيق علي هذا الشاهد: (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)، فقد تمثلت معطيات النحو في تحديد بناء الجملة : واو الحال + مبتدأ + مضاف إليه + خبر +مفعول به + مضاف إليه + جار ومجرور. وتمثلت معطيات الصرف في تحديد

صيغة أو بناء كلمة (باسط) وهي اسم فاعل. وقد تعارضت معطيات النحو ومعطيات الصرف في هذه الجملة في نقطتين، هما: الأولي أن اسم الفاعل (باسط) قد عَمِل عَمَل فعله في نصب المفعول به (ذراعيه) وهو بمعني الماضي. وهنا تدخلت المعطيات الدلالية فأزالت هذا التعارض بالإشارة إلي أن اسم الفاعل أريد به هنا حكاية الحال. وثانيهما أن الجملة الاسمية تفيد الدلالة علي الثبوت؛ واسم الفاعل يفيد الدلالة علي الحدوث والتجدد. وهنا تدخلت المعطيات الدلالية أيضا. فأزالت هذا التعارض بالإشارة إلي أن اسم الفاعل يعامل هنا معاملة الصفة المشبهة في الدلالة علي الثبوت في ظل قرينة معنوية، هي أن المراد هنا تأدية هيئة الكلب الثابتة في فناء الكهف (الوصيد). فكلمة (باسط) هنا في معناها ودلالتها صفة مشبهة وليست اسم فاعل إلا في الصيغة والأحكام النحوية الخاصة بها. وهذا يعني أن المعطيات الدلالية قد جاءت متممة ومكملة لمعطيات الصرف والنحو بهدف تأدية المعني المراد من الجملة.

المصادر والمراجع

*** د/ إبراهيم أنيس.**

١- الأصوات اللغوية، الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢- في اللهجات العربية، الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٣م.

*** د/ إبراهيم نجا.**

٣- التجويد والأصوات، السعادة، القاهرة، ١٩٧٦.

*** د/ أحمد مختار عمر.**

٤- دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨١.

٥- علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

*** ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم- ت٣٢٨هـ).**

٦- الأضداد ، تحقيق/ محمد أبو الفضل ابرهيم ، المكتبة العصرية – صيدا بيروت -١٩٩١م

*** أبو البركات الأنباري (كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن الأنباري- ت ٥٧٧هـ).**

٧- البيان فى غريب القرآن ، تحقيق / مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٠م

*** أبو البقاء الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسي الحسيني الكفوي- ت ١٠٩٤هـ).**

٨- الكليات، الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣م

*** د/ تمام حسان.**

٩- اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

*** الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل- ت ٤٢٩هـ).**

١٠- فقـه اللغـة وسـر العربيـة ، تحقيـق/ مصـطفى السـقا وزميليـه ، الحلبـى – القاهرة،١٩٥٤م

* الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن مجر – ت٢٥٥هـ).

١١- البيان والتبيين ، تحقيق / عبد السلام هارون ، الخانجى – القاهرة ،١٩٦٨م

*** الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن – ت٤٧١هـ).**

١٢-دلائل الاعجاز ، تحقيق/ محمود محمد شاكر ، المدنى ، القاهرة ، ١٩٩٢م

*** الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد – ت٥٤٠هـ).**

١٣- المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، تحقيق / أحمد محمد شاكر ، دار الكتاب ، القاهرة ،١٩٦٩م

*** جوزيف فندريس.**

١٤- اللغة ، ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص ، الأنجلو – القاهرة – ١٩٥٠م

*** أبو حاتم الرازي.**

١٥- الزينـة فـى الكلمـات الإسـلامية والعربيـة ، تحقيـق/ حسـين الهمـدانى ، دار الكتاب العربى ، القاهرة، ١٩٥٧ م

*** د/ حلمي خليل.**

١٦- الكلمـة دراسـة لغويـة ومعجميـة ، دار المعرفـة الجامعيـة – الإسـكندرية – ١٩٩٨م

*** خالد بن عبدالله الأزهري(ت٩٠٥هـ).**

١٧- شرح التصريح على التوضيح ، المطبعة الأزهرية المصرية – ١٣٢٥هـ

*** الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ).**

١٨- العين ، تحقيق الدكتور /ابراهيم السمرائى ، دار الهلال ، بيروت ، (د.ت)

* **الرازي (فخر الدين الرازي– ت ٦٠٦هـ).**
١٩– التفسير الكبير ، دار إحياء التراث العربى – ط٣ – (د.ت)
* **الزجاج (أبو سحاق بن سهل– ت ٣١١هـ).**
٢٠– معاني القرآن وإعرابه، تحقيق د/ عبد الجليل شلبي، عالم الكتب– بيروت– د.ت).
* **ستيفن أولمان.**
٢١– دور الكلمة فى اللغة ، ترجمة/ د/ كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٧٢م
* **ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل– ت٣١٦هـ).**
٢٢– الأصول فى النحو ، تحقيق / عبد الحسين الفتلى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٩٩٦م
* **السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد ت ٦٢٦هـ).**
٢٣– مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م
* **سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر– ت١٨٠هـ).**
٢٤– الكتاب ، تحقيق / عبد السلام هارون ، الخانجى ، القاهرة ١٩٨٢م
* **السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن– ت٩١١هـ).**
٢٥– المزهر في علوم اللغة وأنواعها،تحقيق/ محمد أحمد جاد المولي وآخرين، دار إحياء الكتب العربية– القاهرة– ١٩٥٨م.
* **الصبان (محمد علي الصبان– ت١٢٠٦ هـ).**
٢٦– حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ، الحلبى – القاهرة –(د ت)
* **عباس حسن.**
٢٧–النحو الوافى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٣م

* **ابن عقيل (بهاء الدين عبدالله بن عقيل– ت ٧٦٩هـ).**

٢٨- شرحه على الفية ابن مالك ، تحقيق / محمد محى الين عبد الحميد ، دار التراث ، القاهرة ١٩٨٠م

* **ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس– ت ٣٩٥هـ).**

٢٩- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق/ السيد أحمد صقر، الحلبي– القاهرة– ١٩٧٧م.

٣٠- مقاييس اللغة، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار الجيل– بيروت– ١٩٩١م.

* **ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم– ت ٢٧٦هـ).**

٣١- تأويل مشكل القرآن، تحقيق/ السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية– (د.ت).

* **القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري– ت ٦٧١هـ).**

٣٢- الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية– بيروت– (د. ت).

* **القزويني (الخطيب القزويني– ت ٧٣٩ هـ).**

٣٣- الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي– دار الكتاب اللبناني– ١٩٨٠م.

***د/ كريم حسام الدين.**

٣٤- المحظورات اللغوية، الأنجلو– القاهرة– ١٩٨٥م.

* **د/ محمد أحمد أبو الفرج.**

٣٥- المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، دار النهضة العربية ،بيروت ، ١٩٦٦م

***د/ محمد حسن عبد العزيز.**

٣٦-التعريب فى القديم والحديث ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٠م

*** د/ مصطفي إبراهيم علي.**

٣٧- البنية النحوية لشعر عروة بن الورد ، دار الوفاء - المنصورة - ١٩٨٩م

*** ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري- ت ٧١١هـ).**

٣٨- لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، (د ت)

*** د/ مهدي المخزومي.**

٣٩- فى النحو العربى نقد وتوجيه ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤م

*** ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ).**

٤٠- شرح قطر الندي وبل الصدي، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر العربي- القاهرة- (د. ت).